

## الحلقة (١٦)

لأزلنا في آية كريمة في سورة كريمة وهي سورة البقرة وتلك الآية هي قول الله عز وجل:

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَدْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَغْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

وتحدثنا عن بعض الملاحظات المتعلقة بهذه الآية الكريمة، فنكمل ما تعلق بالآية من المباحث.

❖ قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ﴾

المخاطبة لجميع الناس، والمراد بحكمها هو الرجل الذي في نفسه تزوج معتدة، كما قلنا هذا سلفاً هل كل الرجال مثلاً يتسابقون للاقتران بهذه المرأة المتوفى عنها زوجها؟ أم أن هناك بعضاً ممن يريد؟ لاشك أن هناك بعضاً ممن يريد، فالخطاب هنا يتوجه أولاً إلى هذا المريد الذي يريد أن يرتبط بالمرأة المعتدة المتوفى عنها زوجها، إذاً المخاطبة لجميع الناس والمراد بحكمها هو الرجل الذي في نفسه تزوج معتدة أي: لا وزر عليكم في التعريض بالخطبة في عدة الوفاة.

﴿ طبعاً تعريضاً لا تصريحاً، التصريح لا، إنما التعريض لأنه لاسيما هذه المرأة تحزن في الغالب على هذا الزوج، إلا إذا كان هناك حالة استثنائية كما يقول الشاعر:

قد كنت أتمنى موت زوجتي\*\*\* لكن قرين السوء باق معمر

والمعتد ليس الرجل وإنما المعتد هو المرأة، فإذا في الغالب هي رقيقة المشاعر، وإلا هناك بعض النساء لديهن عضلات فولاذية كما يقولون، وقد تكره الزوج وقد تقضي عليه، وهذه كلها حالات استثنائية، وإلا فالأصل في الغالب أنها كائن عضلي حساس فهي تحزن عليه، أما من أراد الاقتران بها لا حرج ولا وزر ولا إثم ولا جناح من أن يعرض بطريقة من الطرق المعتبرة شرعاً، لا أن يذهب بنفسه مباشرة ثم يعرض، فهي أجنبية عنه، ولكن عبر وسائل كثيرة ومنها الوسائل المستحدثة، قال ابن عطية المفسر الغرناطي صاحب المحرر الوجيز: أجمعت الأمة على أن الكلام مع المعتدة بما هو نص في تزوجها وتنبيه عليه لا يجوز، وكذلك أجمعت الأمة على أن الكلام معها بما هو روث وذكر جماع أو تحريض عليه لا يجوز، ولا يجوز التعريض لخطبة الرجعية إجماعاً لأنها كالزوجة، وأما من كانت في عدة البينونة فالصحيح جواز التعريض لخطبتها.

وابن عطية رجل دقيق متوفى عام ٥٤٢هـ لأنه كان معاصراً لدار الله الزمخشري المتوفى عام ٥٣٨هـ وكان كافرسي رهان، فقالوا ذاك في المغرب وهذا في المشرق، وسئل الشيخ ابن تيمية عن تفسيريهما (تفسير المحرر الوجيز لابن عطية والكشاف للزمخشري) فقال: تفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري، وإن كان اشتمل على بعض هذه البدع، لأنه كما نعلم أن جل المفسرين هم أشاعرة، وبعض الأشعرية

الأمر عندهم ميسرة أما الزمخشري فهو معتزلي في العقيدة وينال من أهل السنة نيلاً عظيماً، ولكنه في التفسير البياني في إبراز الجوانب البلاغية لكتاب الله عز وجل هو إمام بلا منازعة ولا مدافعة وأما ابن عطية فكتابه حارٍ على كثير من المباحث ذات العلاقة بالآية، لكنه ليس معنياً بالبيان كالزمخشري ولذلك كما نقل أبوحيان في معرض التفريق والجمع بين التفسيرين قال عن أحدهم من المغاربة: تفسير ابن عطية أشمل وأنقل وألخص، وتفسير الزمخشري أغمض وأجمع وأغوص. فالشاهد أن ابن عطية ذكر بأن التصريح لا يجوز، فاستخدام وسائل كالجوال مثلاً أو أي وسيلة أخرى يكون فيها تصريحاً فلا يجوز فيقول رحمه الله تعالى (أجمعت الأمة على أن الكلام مع المعتدة بما هو نص في تزوجها وتنبيه عليه لا يجوز، وكذلك أجمعت الأمة على أن الكلام معها بما هو رفق وذكر جماع أو تحريض عليه لا يجوز، ولا يجوز التعريض لخطبة الرجعية إجماعاً لأنها كالزوجة، وأما من كانت في عدة البينونة فالصحيح جواز التعريض لخطبتها).

فرفع الله الجناح عمن أراد تزوج المعتدة مع التعريض ومع الإكتمال، يقال أن أحد الناس أراد الاقتراح بأحد الناس، وكان شيخاً كبيراً فنأدى الولد وعزمه وقال له يا ولدي أنا مثلما تراني أعيش لوحدي وأتمنى واحدة في نفس سني، فالولد ما فهم، قال ما هو المطلوب؟ فقال أمك ربك تربية جميلة والآن هي تجلس لوحدها، أتمنى إنك تجمع بيننا، فانتقل من التعريض إلى التصريح، ففهم الولد بعد التصريح فذهب الولد إلى أمه وقرن بينهما.

إذاً فرفع الله الجناح عمن أراد تزوج المعتدة مع التعريض ومع الإكتمال، ونهى عن المواعدة التي هي تصريح بالتزويج وبناء عليه واتفاق على وعد، إذاً التعريض لا إشكال فيه، إنما الإشكال في التصريح، وأيضاً بعض الناس ينتقل من التلميح إلى التصريح هذا التصريح الذي لا مرحباً به أما التلميح لا بأس به وهو التعريض.

❖ قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾

اختلف العلماء في معنى قوله سرّاً فقليل معناه نكاحاً، أي لا يقول الرجل لهذه المعتدة أريدك، وقيل السر الزنا عياداً بالله، أي لا يكون منكم مواعدة على الزنا في العدة ثم التزوج بها، وطبعاً استعمال السر في معنى الزنا موجود عند العرب.

❖ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾:

أي لا تعزموا على عقدة النكاح في زمان العدة.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾: أي يريد تمام العدة، والكتاب هنا هو الحد الذي جعل.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ يعني لاحظوا أن هذه

الآيات التي تأتي عقب مشاهد فيها مشاكل، فدائماً فيها التنبيه وتحذير قوي، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ

عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ عندما يعلم هذا المطلق سيطلق ولكن يريد أن يلعب فإن

الله سميع لما يصدر من أقوال، عليم بما تكنه الصدور، وهو تحذير، وكقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ عزيز سبحانه تعالى في تشريعاته وأحكامه، حكيم أيضاً بما اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن يضع كل شيء في مكانه، فهذا أيضاً فيه لفت وتهديد، قال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ إذاً من تعدى تلك الحدود فهو ظالم، هذا تهديد، ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الزوج الأول ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾ الطلقة الثالثة ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ حتى يذوق عسيلتها وتذوق عسيلته، ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ اشتهى الأول أن يتراجعا ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ إذاً من لم يعمل بهذه الحدود فهو لا يعلم فهو جاهل والجاهل عليه إما يتعلم أو يحاسب.

إلى أن تأتي الآيات ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ إذاً سبحانه وتعالى ذيل الآية بالخبرة هنا، أيضاً تهديد ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَذَكَّرُوهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

إذا ختم الآيات بمثل هذه الأسماء أو بالتنفير بأفعال واجب أن لا يقع فيها هؤلاء هذا دليل على أن هناك تهديداً أي من لم يمثل بهذه الأحكام فإن عقابه عظيم. قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ هذا كما يقول ابن جرير الطبري: هذا نهاية التحذير من الوقوع في مناهي الله عز وجل، ولا سيما مما يؤكد هذا أن الله سبحانه قال { **فَاحْذَرُوهُ** } ونحن في حديثنا نقول احذر فلان، احذر يعني اللون الأحمر ما بعد هذا التحذير تحذير، يعني قف كإشارة المرور، { **فَاحْذَرُوهُ** } احذروا أمر الله عز وجل واحذروا عقابه فعقابه شديد وعذابه أليم

ومعنى الآية لا حرج عليكم أيها المخاطبون في التعريض بخطبتكم النساء المتوفى عنهن أزواجهن قبل انقضاء العدة لتزواجهن بعد انقضائها، ثم احذروا عقاب الله عز وجل إذ هو يعلم سبحانه ما تنطوي عليه النفوس وما تكنه الصدور، فمن هذا شأنه سبحانه وتعالى، يجب على هذا الإنسان أن

يكون وقافاً عند هذه الآية وعند أخواتها وعند كتاب الله وعند سنة الرسول ﷺ فلا يصرح، ولا يخادع، ولا يرتكب المحظورات ويتجنبها، وعليه أن يعرض لا أن يصرح. ننتقل بعد إلى آية أخرى وحديثنا حتى هذه اللحظة منصب على الأسرة:

﴿قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ «لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ»﴾ ٢٣٦.

إذا قلنا عند حديثنا عن قول الله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ...﴾ قلنا لكم أن هناك تخصيص جاء في قول الله عز وجل ﴿وَأُولَئِ الْأَحْمَالِ...﴾ وقلنا لكم تأتي الأحكام تباعاً، ونحن نعيش الآن مع حالات أخرى من حالات النساء المطلقات، ولاحظوا كيف كان القرءان في تشريعاته دقيقاً ومحكماً لأنه تنزيل من حكيم حميد، فبدأ بالأسرة وأنشأ تلك الأسرة وأنشأها ثم الخلافات والطلاق ثم... الخ، كل هذا ليضع القرآن لهذه الأمة دستوراً يجب أن يسير عليه الجميع، نعم التفرعات مجالها واسع، أما الأصول وهذه من الأصول، فلا يسوغ لأحد أن يحاول أن يضع تشريعاً يخالف الأصول، والحمد لله عامة المسلمين متقيدين بهذه الأصول، وأما الفروع فمجالها واسع، وأمورها تقبل القسمة على أكثر من اثنين فلا إشكال.